فن التعامل مع النفس

ملخص

المحاضرة السادسة

شرح الشيخ م. علاء حامد

فريق التفريغات

ملخص الدرس السادس

◄حل الصراع النفسي بين الإخلاص والرياء

~ مقدمة~

مازلنا نتكلم عن إصلاح النفس ،كيف يصلح الإنسان نفسه فى طريقه إلى الله سبحانه وتعالى كنا قد تكلمنا المرة السابقة عن العجلة وهى آفة شديدة من آفات النفس واليوم سوف نتحدث عن صفة كامنة فى النفس وما فى أحد إلا ولديه هذه الصفة وهى حب المدح والثناء والتقدير فالنفس تحب التزكية من الناس والمدح من الناس فهل هذا الصفة نافعة أم ضارة؟ كيف أتعامل مع هذه الصفة ؟

لماذا النفس تُحب المدح ؟

1 لأنها عجولة :

♦♦ قال الله تعالى ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴾ فالمديح أمر عاجل جدا مقترن بالعمل نفسه أو بعده مباشرة فالنفس تحبه لأنه سريع جدا والنفس بطبيعتها تميل إلى الاستعجال .

♦♦ حل هذه المشكلة أن تقرأ القرآن وترى كيف تعامل مع الدنيا والآخر قال الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ وقال الله ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ فإصلاح النفس كله مرتبط بالقرآن وكل العلاجات أصلها القرآن ولكن لمن يتدبر ولن تصل إلى القناعة أبدا إلا عندما تستسقى العلاج من القرآن فيجب أن تقرأ القرآن بتفكر وقلب جديد وترى التطبيق العملي لسيرة النبى صلى الله عليه وسلم لأن قراءة القرآن بالتوازي مع سيرة النبى صلى الله عليه وسلم يعطيك رؤية مختلفة لأنك ترى القرآن يطبق فعندما ترى أن النبى صلى الله عليه وسلم نام على الحصير حتى أثر فى جنبه فيدخل عليه عمر فيقول له لا يعجبني أن يكون أهل فارس والروم على ما هم عليه من النعيم وأنت على هذه الحالة فيقول له النبى أما ترضى يا عمر أن تكون لهم الدنيا وتكون لنا الآخرة ؟

2 لأنها تُحب الكمال :

♦♦ سواء كان هذا الكمال حقيقي أم لا المهم أن تشعر النفس بالرضا وعندما يثنى عليها الناس بما ليس فيها تتلذذ أكثر وهذا عقابه شديد قال الله تعالى ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

♦♦ علاج هذا الأمر أن يعلم العبد أنه لن يصل إنسان إلى الكمال فلابد من نقص فلا تغتر بمدح أحد لأنها غالباً ما يبالغ .

♦♦ تعامل مع أى مادح أنه ليس صادق لأن غالبية الناس تبالغ فى المدح فافترض دائماً أن الذى يمدحك مبالغ .

♦♦ تُأصل فى نفسك أن المدح الحقيقي ليس فى الدنيا ولا على الأرض وإنما المادح الحقيقي هو الله والذام الحقيقي هو الله وتذكر وأنت تعمل كل عمل ماذا سيقول عنى الله هل يمدحني هل يراني بخير ؟فهذا أُبى بن كعب يأتى له النبى من بيته فيقول له إن الله قد أمرني أن أقرا عليك القرآن فقال يا رسول الله وهل سمانى لك ؟ قال سماك لى فبكى رضى الله عنه فالإنسان عندما يعرف هذه القضية يسأل نفسه عند كل عمل ماذا يُقال عنى عند الله؟ ثم لا تُبالى .

♦♦ انظر فى حقيقة نفسك وعودها عندما تمدح أن تتذكر عيوبك وذنوبك الذى سترها الله عليك فهذا أبو بكر رضى الله عنه عندما يُمدح فيقول اللهم إجعلني خيراً مما يظنون واغفر لى ما لا يعلمون وهذا عمر بن عبد العزيز كان لديه عالماً قال له عظنى وأوجز فقال له يا أمير المؤمنين إن أقواماً غرهم ستر الله عليهم وفتنهم حسن الثناء فلا يغلبن جهل غيرك بك علمك بنفسك أعاذنا الله وإياك أن نكون بالستر مغرورين وبثناء الناس مسرورين وعما أفترضه الله مقصرين وإلى الأهواء مائلين فبكى عمر وقال أعوذ بك من غلبة الهوى .

♦♦ عليك أن تخشى أن يكون الثناء نوع من الاستدراج لأنه قد يكون استدراج لك لكى تُفتن وتغتر بعملك لأن الله يعلم أنك لا تصلح للجنة فيقيد لك الأسباب التى تُهلكك لذلك قال الحسن «كم من مستدرج بالإحسان إليه » .

♦♦ علاج الحذر لأنه إذا مدحك الرجل بما ليس فيك فسوف يذمك بما ليس فيك فعليك الحذر .

متى يكون المدح مشروعاً ؟

1 أن يكون فرحك بالمدح هو فرح بالمدح لا بنفسك :

♦♦ لأن الله أجرى هذا الثناء على الناس وسترك وأظهر الجميل وأخفى القبيح لذلك بعض السلف سألوه كيف أصبحت قال بين نعمتين لا أدرى أيهما أشكر ؟أجميل ما أظهر أم قبيح ما ستر ؟فليس فرحك فرح استحقاق ولكن فرح بالله .

2 ترجوا إذا عاملك الله به فالدنيا أن يكون كذلك بالآخرة :

♦♦ فإذا جاءت الآخرة أظهر الجميل وستر القبيح فيكون فرحك بنعمة الله عليك وليس فرح استحقاق .

3 أن يقبل عملك الصالح :

♦♦ تفرح لأنه سوف يقبل عملك الصالح فى يوم القيامة ويستر عيوبك فى الآخرة كما سترها فى الدنيا .

4 تفرح لأنك ترجوا أن هؤلاء المادحين يشهدوا لك :

♦♦ فتفرح بشهادتهم يوم القيامة قال النبى صلى الله عليه وسلم« : مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَشْهَدُ لَهُ أَرْبَعَةٌ أَهْلِ أَبْيَاتٍ مِنْ جِيرَانِهِ الأَدْنَيْنَ أَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ إِلاَّ خَيْرًا ، إِلاَّ قَالَ اللَّهُ : قَدْ قَبِلْتُ عِلْمَكُمْ ، وَغَفَرْتُ لَهُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ.» لذلك من الآثار العجيبة عند السلف كان فى عصر أحمد بن حنبل فتنة ان القرآن مخلوق وتمسك أحمد بن حنبل بقوله أن القرآن كلام الله وعذب عذاباً شديداً وثبته الله على ذلك فأتى الناس إلى عابد من العباد فى ذلك الوقت كان يسمى بشر فقالوا له ألا تقول مثل أخوك!؟ فقال لهم تريدون منى أن أقوم مقام الأنبياء؟ فهذا الذى يفعله أحمد بن حنبل مقام الأنبياء فوصل هذا الكلام لأحمد بن حنبل فقال الحمدلله الذى أرضى عنا بشر .

5 يفرح بالثناء لأنه يريد أن يترحموا عليه بعد الموت :

♦♦ لأن بطبيعة الإنسان يحب أن يترحم عليه الناس بعد موته ومن ذلك قال إبراهيم عليه السلام واجعل لى لسان صدق فى الآخرين والله أحيا ذكره لهذا اليوم .

6 يفرح لأنها هدية من الله تدل أنه مؤمن :

♦♦ قال الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ والود هى محبة فى قلوب الخلق لك .

هل يجوز أن تمدح أحد ؟

♦♦ الأصل أنه لا يجوز لأن النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يمدح أخاه فقال له قطعت عنق أخيك.

من الأمور الجائزة أن تُثنى عليه من وراءه:

♦♦ إذا اضطررت أن تمدحه تقول أحسبه والله حسيبه ولا أزكيه على الله أبدا .

♦♦ قد يقول قائل أليس النبى صلى الله عليه وسلم مدح الصحابة مباشرة فسماهم وقال أبو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة ؟

♦♦ نقول نعم يجوز فى حالات قليلة ومنها أن تأمن أن الذى ستمدحه لن يُفتن وهذا قليل جدا ونادرة ولكن عند الصحابة كان يعلم النبى أنهم فى الجنة وضمن أنهم لم يفتنوا .

♦ جائز أيضاً إذا علمت أن مدحك لن يؤثر فى المادح ولن يدفعه إلى حب الظهور ويفسده .

♦ جائز أيضاً إذا وجدت شخص محبط ومنتكس وتريد أن ترفع همته وعزيمته .

كيف يُحصل الإنسان الإخلاص ؟

1 أن يتعلم أن القبول معلق على الإخلاص :

♦♦ وأن العمل لن يقبل عند الله بدون إخلاص قال الله أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه .

2 أن تتأمل قضية الرياء:

♦♦ وتعلم أنك قد بعت عملك للناس والذى تطلبه من الناس هو بيد الله فقط فقلب من ترائيه بيد من تعصيه.

3 اعلم أن الإخلاص سبب الخير فى الدنيا والآخرة:

♦♦ والرياء لا يعود عليك بخير لا فى الدنيا ولا فى الآخرة .

واعلم أن قلب من ترائيه بيد من تعصيه لذلك من يبقى لهم الثناء الحسن هم المخلصين لله فقط ولنا فى قصة إبراهيم مثال .

4 تعلم من هم أول ثلاثة سوف تسعر بهم النار :

♦♦ ثلاثة يؤتى بهم يوم القيامة: مجاهد، وقارئ، ومتصدق، فيقال العالم: فيم تعلمت العلم، وقرأت القرآن؟ قال: قرأت فيك القرآن، وتعلمت فيك العلم، فيقول الله له: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال: عالم، وقرأت ليقال: قارئ، ما تعلم لله، ولا قرأ لله، فيؤمر به، فيسحب إلى النار على وجهه ويؤتى بالمجاهد فيقال له: فيم جاهدت؟ قال: أمرت بالجهاد، وجاهدت في سبيلك، قال: كذبت، تقول له الملائكة: كذبت، ولكنك جاهدت ليقال: هو جريء، يعني هو شجاع، فيؤمر به، فيسحب إلى النار على وجهه ويؤتى بالمتصدق الذي تصدق بماله، فيقال له: فيم تصدقت؟ قال: أمرت بالصدقة في سبيلك، فما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيه إلا أنفقت فيه، قال: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ولكنك تصدقت ليقال: هو جواد، يعني يقال: إنه سخي، ما هو لله، بل لمراءات الناس، حتى يمدحوه، ويثنوا عليه، فيؤمر به إلى النار .

5 كثرة الدعاء :

♦♦ فالله وحده هو القادر على أن ينجيك من الرياء .